كشف سيدنا يسوع المسيح لأمه العذراء مريم سراً عن قصده بأنه سيفرض على هذه الجماعة أن يؤدوا لها واجب الإكرام اللائق بأم الله وسيجعل ذلك فرضاً واجباً على الكنيسة. ولكن ملكة الاتضاع سألته أن لا يكشف إلا عن الضروري لها للقيام بمهمتها وان لا يسمح للمؤمنين بان يقدموا لها إكراماً أكثر من ذي قبل حتى يعود واجب العبادة المقدس فقط للسيد نفسه من اجل مجد اسمه.

فاستجاب السيد لهذه الصلاة المقدّمة له من أمه الكلية القداسة متحفظاً بكشف كل ذلك إلى الوقت المناسب. وفيما سأله المؤمنون الأولون وهم متأثرون لوداع معلمهم الإلهي يذرفون دموع الحب والأسف، أن يأخذهم معه، وعدهم بإرسال الروح القدس لكي يعزّيهم.

وحانت أخيراً ساعة تتويج حياته بالصعود. فخرج من العلية مع المختارين المئة والعشرين الذين كانوا موجودين هناك، أمه إلى جانبه، ومرّ بهم في شوارع أورشليم. وكان القديسون الذين أخرجهم من الينبوس يتبعونه وهم يرنمون مع الملائكة التسابيح الجديدة، ولكنهم لم يكونوا منظورين إلاّ من العذراء الكلية القداسة. أما اليهود فلم يشاهدوا هذا التطواف العظيم لقلّة إيمانهم، فمرّوا في بيت عنيا ووصلوا إلى جبل الزيتون.

هناك انقسم الموكب إلى ثلاث فرق مؤلفة من الملائكة والقديسين والمؤمنين. وكان يسوع في الوسط. فسجدت العذراء الكلية القداسة على قدميه وعبدته ملتمسة بركته الأخيرة. كما قدّم له جميع الباقين هذا الإكرام. وبعد بضع كلمات، ضمّ يديه بجلال وراح يرتفع عن الأرض تاركاً عليها آثار قدميه المقدستين. وصعد بشكل غير محسوس سالباً أبصار وقلوب أولاد كنيسته الأولين وجذب بعده الملائكة والقديسين الذين كانوا يرافقونه، بعضهم بالنفس والجسد والبعض الآخر بالنفس فقط إلى درجة أنهم كانوا يرتفعون هم أيضاً تابعين رئيسهم بأجمل نظام ممكن.

وهل كان ممكناً لانتصار يسوع المسيح أن يكون كاملاً، أوَلم يكن يوجد نقص ما مؤسف لو كانت أمه المحبوبة جداً غائبة؟ هل كان بالامكان أن تبقى معزولة بينما كان الملائكة والقديسون، وهي ملكتهم، يتمتعون بهذا الظفر؟ وأخيراً ألا يحقّ لها أكثر من أيّ كان أن تشترك بهذا الانتصار هي التي كانت مشتركة تماماً بالآلام؟ لهذه الأسباب، قد وعدها الظافر الإلهي بعد القيامة أن يأخذها معه وقد برّ بوعده بطريقة عجيبة. لقد أصعد أمه الطوباوية معه وأجلسها عن يمينه وألبسها إشراقات مجده كما بشر بذلك داود (مز، 44) . ولكنها بقيت بالوقت نفسه مع الرسل والمؤمنين لن ذلك كان ضرورياً لهم، فلو لم يكونوا يتمتعون دوماً برؤيتها في وسطهم فأي حزن عميق كان سيكتنفهم لن وجودها بينهم كان تعزيتهم الكبرى .

وأقبل الآب عندئذٍ لملاقاة ابنه المتجسد وأمه الجليلة. ولما اقتربا منه، تقبّلهما بعناق خاص بحبه اللامتناهي وهذا المشهد سبّب فرحاً جديداً للربوات الملائكية العديدة التي كانت ترافقهما. وصلت هذه الجماعة التي لا